

أختصاصيون: الحكومة لا تولي الاهتمام اللازم بالمصابين بمرض التوحد يتفشى بين أطفالنا



التقنيته في احد مطارات اوروبا، كنت منشغلا بدفع حقائبي الثقيلة في صالة الانتظار، وفجأة رأيته يهم بالدخول الى القاعة ويجلس بالقرب مني. ترددت كثيرا قبل أن أتحدث معه، لاسيما وان أكثر المسافرين لا يرغبون بالحديث مع غرباء في المطارات. كانت سنوات العمر قد تركت علامات في وجهه، ورعشة يده التي تبرز منها العروق، امسك بجهاز "الموبايل" وبدت عليه صعوبة ايجاد الرقم الذي يريد الاتصال به، محاولا البحث في سترته البنية عن نظارته - كما اعتقد - حينها استثمرت الفرصة لأتقرب منه، وقلت "هل أساعدك في الاتصال؟" استغرب سؤالي ولهجتني العراقية، وسألني "أنت عراقي"، فقلت "بالتأكيد يا دكتور سعد". زادت علامات الاستغراب والدهشة، ولم البث أن يبحث له عن "سارة" التي كان يريد الاتصال بها كما اخبرني حتى سألني "كيف تعرفني؟".

بغداد / سها الشيخلي

التوحد هو إحدى حالات الاعاقة التي تتوق من استيعاب المخ للمعلومات وكيفية معالجتها وتؤدي إلى حدوث مشاكل لدى الطفل في كيفية الاتصال بين حوله واضطرابات في اكتساب مهارات التعليم السلوكي والاجتماعي. ويعتبر من أكثر الأمراض شيوعاً التي تصيب الجهاز التنويري للطفل. وتشير ام هشام الى ان الدكتور الخزاعي قد ذكر ان من اسباب المرض هي العوامل والمولفات في بيئة الطفل مثل التعرض للسموم كالمعادن السامة مثل الزئبق والرصاص والالتهابات والفيروسات، وتؤكد ام هشام ان خلف بيتهم كانت أكدا من السكراب ومخلفات الجيش وقد تكون هي السبب في إصابة ابنها بهذا المرض وقد كان في عامه الأول فقد ولد هشام عام ٢٠٠٣. وان الطبيب المعالج لهشام قد اخبرها ان الاسباب الأخرى قد تكون اخذ المضادات الحيوية بكثرة، بالإضافة الى وجود قابلية جينية وراثية لدى الطفل تكون اسبابها مجهولة، لكن الأبحاث الحالية تربطه بالاختلافات البيولوجية والعصبية للمخ، وأردف وتعود بأه هشام الى ما قاله الدكتور الخزاعي عن الأعراض. حيث يقول الخزاعي لكن الأعراض التي تصل إلى حد العجز وعدم المقدرة على التحكم في السلوك والتصرفات يكون سببها خللا ما في أحد أجزاء المخ، كما يلاحظ أن الأطفال الذين يعانون من التوحد يعانون من حساسية من مادة الكازين (توجد في لبن وحليب الأبقار والماعز) وكذلك الجلوتين وهي مادة بروتينية موجودة في القمح والشعير

الغوية او الاجتماعية بعد بلوغه عامه الثاني، وتواصل ام هشام حديثها حيث تقول: وقال راشد الخزاعي أستاذ الطب الباطني في الجامعة المستنصرية لإحدى وسائل الإعلام إن من علامات المرض، هي عدم تواصل المصاب مع الآخرين مع صعوبة في التنفس، وملاحظة تغييرات سلوكية، وهو من الأمراض القابلة للشفاء، كما انه ليس من الأمراض الوراثية، ويأتي عادة نتيجة التسوم في البيئة (المواد المشعة).

ويحتاج تشخيص المرض وعلاجه الى أخصائين باطنيين، وكذلك في مجال الغدد الصماء، ونفسانيين وسلوكيين ومتخصصين في التربية او التعليم، فضلا عن طلبات المكتبة العربية، ولا يوجد في العراق طبيب متخصص في معالجة هذا المرض. لكن هناك طبيباً عربياً واحداً في الكويت، يذهب ذوو المرضى بمراضهم اليه للعلاج، كما توجد مدرسة واحدة في العراق، في العاصمة بغداد، وهي مخصصة لمرضى التوحد. وأوضح الخزاعي أن تشخيص المرض يتم عبر توجيه نحو ٤٠٠ سؤال الى المصاب، للكشف عن اصابته بالتوحد او بأمراض نفسية أخرى، ومن تلك الأسئلة اسمه واسم والديه، ففي معظم الأحيان لا يعرف الطفل المصاب بالتوحد أو (الانزالية) اسم والديه، بل أحياناً لا يعرفهم تماماً، وبالتالي فإن التوحد ليس (ضرب من الضلوع)، ولا التشوه الذي يصيب الأطفال، أو الذين يطلق عليهم عبارة (منغولي)، وإنما هو من الأمراض النفسية، ويجب أن يعامل الطفل المصاب بالتوحد، معاملة ذوي الاحتياجات الخاصة، وأردف أن

نظر نخوي الطفل هشام البالغ من العمر ٨ سنوات بوجود حزن وأنا أمه له يدي لمصاحته وعندما سألته عن نتيجته في المدرسة وضع أصبعه في أنفه وأدار لي ظهره، في حين لف الحزن والبأس امه، فهو الولد الوحيد بين أربع بنات، ومن الغريب ان البنات الأربعة كلهن متفوقات في الدراسة وعلى درجة كبيرة من النكاء، همست لي أمه ان ابنها مصاب بمرض يطلق عليه (التوحد) وهو شائع في الفترة الأخيرة ويصيب البنين أربعة اضعاف ما يصيب البنات.

أم هشام تتحدث
قالت أم هشام: إن الطبيب المشرف على علاج هشام قد اخبرها بان مرض التوحد يعتبر من الأمراض الحيرة والتي ما زالت قيد البحث والدراسة ومراجعة الطرق التشخيصية والعلاجية، اكتشف تزايد في البرص الذي انتشر في الاونة الأخيرة تلوث البيئة بالمعادن السامة مثل الزئبق والرصاص الذي انتشر في الاونة الأخيرة اي بعد الاحتلال الأمريكي للعراق وكثرة تواجده مخلفات كل من الجيش الأمريكي والجيش العراقي وكثرة طويولة في الساحات والشوارع والتي تم بيعها كمواد خردة (سكراب). وتشير أم هشام الى انها اكتشفت مرض ابنها في العام الأول من عمره من خلال سلوكيات الطفل، حيث كان يقوم بحركات متكررة واهتمامات محددة، مع ضعف التواصل الاجتماعي واللغوي منذ السنة الأولى، أو في حالات أخرى كان هشام يمر بمرحلة تطور طبيعية، كالسير والتسنين الا انه صار يفقد المهارات

التخفيف عن معاناتهم ومعاناة ذويهم. ليس للمرضى فقط بل لكل الإحصائيات، وهذا ان دل على شيء فإنما يدل على ان الإدارات التي تتولى قيادة اغلب الوزارات والدوائر غير مؤهلة وليست صاحبة اختصاص والادهي من ذلك انها جاهلة بأهمية الإحصائيات التي تؤثر انخفاض او زيادة أي مؤشر يهم حياة المجتمع، وعن مشاعر المرضى وحياة الإجتماعية يشير الدكتور رشيد الى ان تلك الصعوبة إدماج المريض مع مجتمعه، إلا ان الدور الأكبر ينصب على جهود أسرته في اشراكه في الحياة الإجتماعية للأسرة وعدم اعتباره فردا غير سوي او ربما يشعرون من انه أصبح عالة عليهم بالوحدة او الإغتراب من مجتمعه، وهناك حالات الى جانب العقاقير المهدئة منها استطاعة فيها الأم في تحسين حالة المريض.

الإحصائيات المفقودة
أستاذ علم الاجتماع الدكتور سعيد يؤكد ان الإحصائيات نكاد تكون معدومة للدوائر ذات العلاقة بمرضى التوحد

إهمال للمرضى
الدكتورة أشواق عبد الرحيم رئيسة منظمة أطفال اليوم أشارت الى ان الإهمال يطال كل المرضى فكيف اذا كانوا مرضى نفسيين ، فالحكومة وخاصة وزارة الصحة لا تولي الاهتمام اللازم للأطفال المرضى بمرض التوحد فليست هناك رعاية حتى لو كانت في أدنى مستوياتها، كما ان البلد يخلو من معاهد ترى هؤلاء الأطفال فالسلك في نظر الوزارات المعنية ومنها على وجه الخصوص وزارتا الصحة والعمل والشؤون الإجتماعية تنظر للجميع بدون استثناء على أنهم من ذوي الاحتياجات الخاصة ، بل يزيد علما (الحديث ما زال للذكورة عبد الرحيم) ان وزارة العمل والشؤون الإجتماعية تنظر الى المسنين على أنهم من ذوي الاحتياجات الخاصة في حين انهم ليسوا مرضى بل هم في كامل قواهم الإجتماعية، لذا تطالب الدكتورة عبد الرحيم إيجاد مدارس خاصة ومعاهد رعاية لمرضى التوحد فهي الكفيلة في

♦ عدم وجود كوادر متخصصة علميا ومهنيا لمشكلة اخرى البيئية: المواد الملوثة أهم أسباب انتشار المرض هل توجد رعاية صحية للمرضى؟

نفسى أم عضوي؟



التي مناهج وخطط التدريب المستمرة التي تلقاها الحالات في مركزنا وصلت بالكثير منهم الى مرحلة جعلتهم قادرين على القراءة والكتابة في مركزنا. وتم افتتاح مدرسة ابتدائية لطلبة التوحد من خلال مشادتنا .. كما ان دور العوائل في مساعدة ابنائهم من التوحديين يعد احد اركان الارتقاء بمستوى هذه الحالة وحسب السيدة نيراس فان مركز رامي استطاع ادخال بعض الأمهات في دورات تأهيلية لارشادهن في كيفية التعامل مع الحالة ورعايتها. ان رعاية حالات التوحد يتطلب مختصين وذوي خبرة في هذا المجال، فكل حالة من حالات التوحد تحتاج لعناية وتدريب تختلف طريقتها باختلاف مستوى الحالة المرضية، مما يتطلب وجود كوادر متخصصة قادرة على التعامل مع جميع مستويات التوحد. وتكلمت السيدة نيراس بهذا الشأن قائلة : "لدينا هناك كوادر متخصصة علميا ومهنيا في مرض التوحد، ولكننا قمنا بتدريب معلمات من طموعات من خلال الخالهن كثيرا إلا انه اسهم بشكل ظاهر في التطوير والارتقاء بمرحلة المتوحد الى مراحل اكثر تحسنا، بالإضافة

مرض التوحد قد تم تشخيصه في العراق بنسب اعتيادية في ما قبل عام ٢٠٠٣، فقد اشارت تقارير عن دراسة اجراها معهد الدراسات في جامعة كامبردج عن مرضى التوحد في العراق بظهور حالات التوحد، الى ان تقريرنا نشر مؤخرا عن دراسة اجريت في الجامعة المتكورة اكدت ان مرض التوحد قد انتشر بنسبة كبيرة مقارنة بالتي سبق الاحتلال واكدت الإحصائيات التي نشرت في التقرير ان مرض التوحد قد زادت ظاهرته بشكل كبير ومفاجئ حتى وصل عدد الحالات الى ٧٥% لكل العمر ما بين ٥-١١ سن. وتقول السيدة نيراس ان ٥% من المتوحدين قادرين على الإبداع في مجالات الحياة المختلفة في حال تلقهم الرعاية التأهيلية، وبتلقهم الرعاية المناسبة والتدريب نكتشف الأطفال ذوي الإبداع الخلاق، وهناك امثلة كثيرة شخصت بانها حالة توحد امثال بيتهوفن، وايضا أنيشتاين كان بعض العلماء يعتقدون انه كان حالة توحد، بالإضافة الى كثيرين آخرين ممن أبدعوا في الموسيقى او الفن او أي مجال آخر. الظروف التي مر بها العراق ابتداء من تزعم الامن وتحديد حركة

عام ٢٠٠٢، لهذا لا توجد احصاءات رسمية حقيقية لعدد الحالات في القطر، ولم يتم الى الآن وضع برامج حكومية رسمية ومنهجية منظمة بخصوص تشخيص التوحد وعلاجه، ولم توفر الرعاية المناسبة لأصحاب ذوي الاحتياجات الخاصة من حالات التوحد، وقد يعود السبب ايضا الى الأوضاع التي تلت عام ٢٠٠٣. إلا ان مركز رامي لرعاية التوحد كان قد تلقى دعما كبيرا من جهات عدة حكومية وغير حكومية وحول نوع ومدى تعاون ودعم الحكومة ومؤسساتها مركز الرامي باعتباره المركز الرسمي في العراق الخاص برعاية المتوحديين قالت السيدة نيراس: "المرکز وخلال فترة معينة سابقة تلقى دعما كبيرا من الحكومة ومؤسساتها ومن منظمات اخرى ايضا، فقد كان هناك تعاون وقبول من قبل مؤسسات الدولة ونشاطات كانت مستمرة بين المركز والوزارات المعنية بهذا الشأن، وحصلت استجابة بفضل الله في كثير من الامور، وقد لا يكون حجم الاستجابة من قبل هذه المؤسسات كبيرا إلا انه اسهم بشكل ظاهر في التطوير والارتقاء بمرحلة المتوحد الى مراحل اكثر تحسنا، بالإضافة

من ٣٥ قناة فضائية عربية وأجنبية زارتنا، مما كوّن نوعا من التعاون بيننا وبين هذه الوسائل في توضيح ابعاد مرض التوحد ومايحيط به من علامات استفهام، الامر الذي ادى الى حصول تثقيف كبير بشأن حالة التوحد واصبح وعي الناس اكبر بهذا المرض، واليوم يتوفر اجيزة السلايت في المنازل حصل انفتاح ثقافي كبير جعل العوائل بمجرد مشاهدتهم للبرامج الموعزة حول التوحد قادرين على تشخيص لدى الصالة اذا وجدت لدى احد أفرادها، وفعلا بدأ الناس يتوافقون علينا للاستفسار والسؤال عن هذا المرض، حتى ان العوائل في الريف بدأت تتصل بنا بسبب تشخيصها لحالات لديها يشكون بانها حاله من حالات "التوحد". وفي العراق، وتعتبر الرعاية الرسمية لهذا المرض حديثة، بحدثة تأسيس المركز الاول في العراق

السكان داخل مناطقها وجرائم الميليشيات، وانتهاء بالوضع الخدمية السيئة من انقطاع للكهرباء وعدم توفرها سوى لساعة او ساعتين كان احد العوائق في طريق تثقيف العائلة العراقية في معرفة ماهية هذا المرض وكيفية التعامل معه، وهذا الشأن اكدت السيدة نيراس بانها فعلا كان عائقا كبيرا قائلة: "الظرف الذي مر به العراق لم يمكن الناس من التعرف على المرض ولا تشخيصه او حتى كيفية التعامل معه، إلا ان الأوضاع الأمنية بمرور الوقت أصبحت أكثر استقرارا مما مكن وسائل الإعلام من التحرك بصورة أوسع لمعرفة المرض ونقل المعرفة بدورهم الى الناس، فوسائل الإعلام المرئية والمسوعة والغرقة جعلتنا في تواصل مع العوائل وعلى تدرجها، وعلى التعامل مع مرضاهم، فأكثر من ٢٠ جريدة واكثر

الصحة: أرقام الإعلام غير دقيقة

نفسية وعقلية تعيقه عن الدراسة كما ان المريض يمتاز بشردو الذهن ، ولدينا صفوف التربية الخاصة تشمل الحالات البسيطة من العوق منها على سبيل المثال قصر النظر او قليلو البصيرة ، ويقترح مدير عام التعليم تشكيل لجان خاصة من الوزارات المعنية لدراسة الموضوع وفتح صفوف للحالات البسيطة من هذا المرض ، كما على اللجنة المقترحة الاستفادة من تجارب الدول الأخرى في مد يد العون للأطفال المرضى .

التعليم العام
أكد مدير التعليم العام عادل عبد الرحيم أن مرضى التوحد غير شمولين بالتربية الخاصة كون الراض ناجما عن قصور عمل الدماغ او جزء منه ، وان الطفل لا يستجيب للتعليم ويعاني من حالة

تتوخى الدقة في نشرها للاخبار مهما كان مصدرها. وخطا منود الإشارة الى ان وزارة الصحة تهمل صحة الفرد مهما كان عمره بعدم متابعة اي مرض يشار اليه في الصحف المحلية ، وان مستشفياتها تشهد تردى الخدمات الصحية بكل اشكالها ، مع نقص حاد في عدد المستشفيات ونذرة كبيرة في الأدوية والمستلزمات الطبية وهذه حقيقة يعرفها القاصي والداني وليست بخافية على احد.

في اتصال هاتفي أجرته المدى مع الدكتور عماد عبد الرزاق المستشار الوطني للصحة النفسية في وزارة الصحة اشار الى ان خبير الزيادة في حالات مرض التوحد في العراق الوارد عن لسان الدكتور راشد الخزاعي غير دقيق ذلك لان الخزاعي لا حق له بالتصريح عن مرض التوحد كونه لا يحمل اختصاصا للطب النفسي بل فقط اختصاصه الطب الباطني في الجامعة المستنصرية ، و اوضح الدكتور عبد الرزاق ان على وسائل الإعلام ان